الاسد » ومدينة الدم والغنيمة فتيسر الاستيلاء عليها وخربت فلم تقم لها قائمة بعد . قال النبي ناحوم (خربت نينوى فمن يشفق عليها يا ترى؟)

مقاصد المؤلفين

الانتقاد في البشر خلة يجيدون فيه بحسب ما رزقوا من القوى العقلية واستبطنوا من الاسرار العلمية والمرء في الغالب لا يرى عيوب نفسه ويحتاج أن يدله دال معتدل عاقل عليها . وكذلك المؤلف وما تأليفه الا بضعة من نفسه وحسنة من حسناتها او سيئة من سيئاتها . ولكن مايسوغ للقرين أن يقوله لقرينه لايسوغ للعامي أن يقوله للخاصي ولا للغائب أن يعرضه على الحاضر

ومن الاسف ان سرعة الحكم فاشية في المشرق مستحكمة من نفوس اهله فنرى احد المتعلمين من ابنائه اذا ألقي اليه كتاب ينظر فيه أسطراً ويحكم على المؤلف حكمه المسمط الذي لا يقبل النقض ولا الرد دون أن يعرف مقصده أو يقرأ كتابه برمته او مقدمته على الاقل . ولطالما كتب بعضهم تقريظاً على بعض الكتب بمجرد تلاوة صفحة من كتاب وسلق كاتبه بالسن حداد لجملة رآها فيه وربما فاته تدبر السياق والسباق وكان ما انتقده منبهاً عليه فصار الناقد ومقصد المؤلف على طرفي نقيض ينتقد عليه ما لو كان قرأ مقدمته على الاقل لما ألقى القول على عواهنه وحكم ابتساراً وافتئاتاً .

وبعد فان كتب العلم كالبضائع تعرض في السوق فتتناولها الايدي بحسب الرغبات فكما انه لايحق لمن نزل السوق لابتياع ثوب ان يعترض

على فراش لا يوافق ذوقه وحالته اذ ان في الناس من لا يرغب في غير هذا الضرب من النسيج فانه لا يسوغ لمن يعد نفسه من طبقة العالمين أو المعلمين أو المتعلمين ان يزيف قولاً لقائل دون النظر في المبدإ والغاية والاصل والفرع. لابد لكل مؤلف من غاية يرمي اليها في تأليفه يفهم ذلك في الغالب مما رتبوا كما قال ابن ساعد في صدر كل كتاب من تراجم تعرب عنها سموها الرؤوس وهي ثمانية: الغرض والمنفعة والسمة والواضع ونوع العلم ومرتبة ذلك الكتاب وترتيبه ونحو التعليم المستعمل فيه. قال وكتب العلوم لا تحصى كثرة ككثرة العلوم وتفننها واختلاف اغراض العلماء في الوضع والتأليف ولكن تنحصر من جهة المقدار في ثلاثة أصناف: مختصر لفظها أوجز من معناها وهذه تجعل تذكرة لرؤوس المسائل ينتفع بها المنتهي للاستحضار وربما أفادت بعض المبتدئين الاذكياء لسرعة هجومهم على المعاني والعبارات الدقيقة ومبسوطة تقابل المختصرة وينتفع بها للمطالعة ومتوسطة لفظها بازاء معناها ونفعها عام

فالناظر في كتاب يقتضي عليه بادئ بدء ان يطالعه كله حتى اذا أتى على آخره ورأى المؤلف خالف شرطاً أخذ على نفسه ان يجري عليه كأن يطيل وهو يريد الاختصار أو يختصر وهو يتوخى الاطالة أو يدخل علماً في علم أو يخبط في العبارة ويخلط في الاشارة أو يركب مركباً لا يسوغ ركوبه في التأليف كأن يكون كتابه في الادب ويودعه صنوفا من الخلاعة والرقاعة ـ اذا فعل المؤلف هذا يسوغ للمطالع بعد أن يتلو كلامه حق تلاوته أن يصدر رأيه فيما طالع ويعتدل في حكمه على كل حال

كنت مرة أطالع تاريخ ابن جرير الطبري وهو في عشرين مجلداً فلم

أكد أقرأ جزءين أو ثلاثة حتى كاد يعروني الملل لكثرة ما قرأته من الاسانيد ولقيته من الحوادث قبل البعثة وأكثرها مأخوذ عن الاسرائيليات معدود في نظر المحققين من الاخبار الضعيفة. فشكوت أمري لاحد الادباء وأشرت الى ما ألقاه من العنت والتعب فعذلني على تطلبي لمثل هذه الاسفار المطولة وعجب من توفري على دراستها والاخذ منها فما أجبته بغير السكوت الا إنه لحظ بالحال أنني وإياه على طرفي نقيض في هذا التصور. ثم ذكرت مثل ذلك أمام إمام من أئمة العلم فاغضى عن خطابي وتلهى عن جوابي إلا أنه قال حبذا لو ظفرنا له بمختصر فان بعض العلماء اختصروه قديماً. وما كدت أتصفح الجزء الرابع من كتابي حتى ارتاحت نفسي اليه بعد انقباضها ولانت بعد شموسها وأخذت أطالع فيه الساعات الطويلة واستفيد منه ما لم أره غيره من قبل. وأنشأت أقيم الاعذار للمؤلف رحمه الله في اطالته لانه جعله مأخذاً للمؤرخين والمطالعين فعدّ كتابه من الامهات كما انه هو من الاثبات الثقات.

مضت على ذلك أيام فذاكرت الامام المشار اليه فيما وقع في نفسي فاندفق يهدر بما جاش به صدره وأفاض في هذا الموضوع إفاضة أبانت عن ضعف المتسرعين في الاحكام على المؤلفين بما تمنيت لو كنت كلي أقلاماً تكتب ما أملاه في ساعة فما قاله: هذا كتاب الحيوان للجاحظ ضمنه ما يلزم الطبيب والاديب فجاء عبد اللطيف البغدادي فاختصره مقتصراً فيه على ما هو أمسّ بحاجة الطبيب واعلق بغرضه وربما يجيء غيره فيكتفي من كتاب الحيوان بما يروق الاديب. ولما ذكرت له ما نقله الدميري من ذكر ملوك الاسلام في كتاب حياة الحيوان قال: الحق معك في ذلك ولكن

لا يفوتك ان الدميري ليس من علماء الحيوان ولذلك كان كحاطب ليل جمع بين النافع والضار وما كان أحراه لو كان من اهل التحقيق ان يجرب بنفسه خواص الحيوانات التي ذكرها فقد كان يتيسر له هذا وان لم يكن ذا المام بهذا الفن فيخفف من عناء قراء كتابه ويضمنه فوائد حسنة نافعة على ان كتابه على ما فيه قد وقع في ايدي فئة من المطالعين فاستفادوا منه واشتهر بينهم

قال وليس من الصواب الاخذ على المقري صاحب نفح الطيب لانه لم يذكر في كتابه تاريخ الاندلس وما توالى عليها ولو اتم الناقد نظره في مقدمة الكتاب بل في اسمه واكثر اسماء الكتب تدل على مسمياتها لما حكم هذا الحكم وما كان نفح الطيب إلا كتاب ادب خص فيه بالذكر الوزير لسان الدين بن الخطيب واورد بحسب ما اقترح عليه بعض اهل الأدب في الشام طرفاً صالحاً من نثره ونظمه واستطرد الى ذكر بعض رجال الاندلس الى عهده وجملة من أخبارها بالعرض

ثم قال وكذلك الحال في قلائد العقيان للفتح بن خاقان فانه كتاب توخى فيه مصنفه إظهار الصناعة اللفظية وان المترجين هم من أهل حرفته فاقتصر من ترجمتهم على ايراد طرف من منثورهم ومنظومهم وليس كتابه كالذخيرة لابن بسام فان هذا ترجم حقائقهم وقصد بذخيرته ان تكون نافعة في الوقوف على احوال الاندلسيين وتصوير صفاتهم فان تأفف بعض من تصفحوا قلائد العقيان وعابوا عليه خلوه حتى من تاريخ مواليد المترجم بهم ووفياتهم فان من الناس من لا يرتضون من مثل هذه الكتب الا بهذه الطريقة الادبية . ولكل فئة من المطالعين طائفة من الكتب تروقها ويستهجنها غيرها .

هذا مثال في النقد السليم وقد كتب في القديم صاعد بن صاعد الاندلسي كتاباً في انواع العلوم وذكر النافع من كتبها كما كتب عبد اللطيف البغدادي مقالة في إحصاء مقاصد واضعي الكتب في كتبهم وما يتبع ذلك من المنافع والمضار وكتب الفارابي في إحصاء العلوم والتعريف باغراضها واليوم علينا ان نتدارس ماانتهى الينا من علم أسلافنا الاقدمين ونضيف اليه ما وصل اليه العلم عند أهله من المتأخرين ونتعلم عن الغربيين صحة النقد والحكم كما نأخذ عنهم العلم والفهم فليس العيب في الحركة وانما العيب في الجمود والله يسددنا حتى لانطق عن هوى

أمثال انكليزية

« اذا تهيأ الانسان للشر فكثيراً ما يغلبه »

« إختر الزوج بما تسمعه بأذنك أكثر مما تراه بعينك »

« لاتتسلق علواً مفرطاً لئلا يكون سقوطك عظيما »

« الحديث العادي خير مرآة لعقل الرجل وصفاته »

« لا تعد فراخك قبل ان تخرج من البيض »

« الحسود يعيش عيشة العناء ويموت موت الاشقياء »

« الحيلة تحتاج الى اللباس وأما الحق فيذهب عريانا »

« ذاكرة الدائن احد من ذاكرة المدين »

« الاعوج بالطبع لا يستقيم بالتربية » (الطبع غلب التطبع)

« أجسر على عمل الخير ولو هزأ الناس بك »

« الازدراء بالعدو يهيجه »